

ولننظر في النص مرة أخرى.

لقد زجت المقامة باسم بشر منذ مطلعها وجعلته صعلوكاً يغزو. ولو توقف الأمر عند ذلك لمات النص قبل ميلاده، إذ إن من شأن الصعلوك أي صعلوك أن يغزو ويقطع الطريق. ولكن صعلوكنا هذا يتورط ورطة تدخله في تاريخ مختلف تتغير معه حياته حيث يقع أسيراً لمأسورته، وتطوقه حبال المرأة الجميلة التي تضعه في حبكة محكمة وتطلقه في النص ليواجه الهلاك في سبيل امرأة أخرى مجهولة لا يعرف عنها في النص كله سوى أنها ابنة عمه فاطمة. وظلت فاطمة هذه غائبة ولم تحضر في النص قط، أي أن بشراً انطلق وراء غياب كامل وفراغ ممتدد، واستمر هذا الفراغ إلى نهاية النص الذي انتهى بلا فاطمة، ولا حصان ولا حصان. وكان النص منذ يوم بشر مع المرأة الجميلة عامراً بالأحداث والتفاعلات مع الراكب ومع المرأة ومع عمه وجماعة العم ومع جنون بشر ثم مع حيلة العم ضدّ بشر. وهذه أحداث صارت لصهر النص وإنضاجه من أجل القصيدة.

فجاءت القصيدة وكأنها الجنين ينحدر من رحم أمه بعد مخاض عسير.

وتوالت أبيات القصيدة في أربعة وعشرين بيتاً، فيها أحداث وحوار وموت وقتل، وتلتها قصيدة صغيرة نظف بعدها الرحم وهدأت تفاعلات النص، وهدأ بشر بعد أن حلف يمينه الذي ختم المقامة بما يشبه خصبي الفحل.

هذا وصف يبيّن حال المقامة قبل نص الأسد وبعده، حيث نرى المقامة تتصاعد حديثاً وسردياً إلى أن تصل إلى القصيدة، ثم تهبط